نصائحُ ظاهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله حمدا لا انقطاع لراتبه، ولا إقلاع لسحائبه، حمدا يكون لنعماء ربنا مجازيا، ولإحسانه موازيا، وإن كانت آلاء ربنا لا تجازى، ولا توازى، ولا تمارى، ولا تجارى، ولا تبارى، حمدا نستدفع به النقمة، ونستنزل به الرحمة، فالحمد لله رب العالمين ...

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي المصطفى والخليل المجتبى والشفيع المرتجى ، خير من وطئ الثرى، {ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}. سَادَ الورى بلا امْترَى فهو المُعلم و المعلم للورى. صلى عليه ربنا وسلما، ما استقبلت أوديةٌ غيثَ السما وعلى آله وصحبه الطيبين النجبا

أما بعد:

هذه جملة من النصائح الأبوية خطها بقلمه شيخ الظاهرية فضيلة الشيخ المحدث أبو عبد الرحمن الظاهري – حفظه الله– يقدمها لأبنائه من طلبة العلم ، وقد ألفيت الشيخ فذًا في مجاله ، يتقن العلوم ، ينقب عن الحكمة ويتفانى في تمجيدها.. ويعشق الفضيلة ويشدو بمحاسنها.. يميل إلى دراسة الحياة وفهمها عن طريق بلاغة الأديب.. ورهافة الشاعر.. وتمهل الفيلسوف.. وفكر الداعية.. وحكمة المجرب.. وحنكة الواعظ.. وذكاء الخطيب.. وحصافة المحدث ! أسأل الله أن يجزيه عنا خير الجزاء

كتبها/ محمد حمدي

- ***<u>في أذنكَ يا ولدي (١)</u>***

دعني أخبركَ أنني أحبكَ حُبًا جَمًّا، ومن حبي لك أقول لك:

لا يكن همكَ ووكدكَ التكثرُ من الدعة ونعيم العيش ويسره ،فلا تغرّنكَ الحواسيب فإنها إن انتهت صلاحية شحنها عادت حطامًا كأنها لم تكن، ولا الهواتف الذكية فلن تكون ذكيًا بذكائها ، فكم من غبيٍ يحمله جهازٌ ذكي، فكن على درايةٍ ان المفطومَ عن لذيذِ النعيم –وهو قادرٌ عليه–لهو قادرٌ على تحصيل العلم وسهر الليالي..

يا بني : العلم علمان ،علمٌ لك وآخر لغيرك ،فعلمٌ لك وهو حال قلبك مع الله وسريرتك اجعلها كعلانيتك ،فما تخفيه عن أعين الناس من معصيةٍ أدرك صلاحه بالتوبة سرًا أزكى لك وأطهر..

يا بني: النعيم لا يدركُ بالنعيم :قال الإمام ابن القيّم في مفتاح دار السعادة ٢:١٥:

وَقد أجمع عقلاءُ كل أمةٍ على أَن النَّعيم لَا يدْرك بالنعيم وَإِن من آثر الرَّاحَة فَاتَتْهُ الرَّاحَة وَإِن بِحَسب رُكُوب الْأَهْوَال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة فَلَا فرحة لمن لَا هم لَهُ وَلَا لَذَّة لمن لَا صَبر لَهُ وَلَا نعيم لمن لَا شقاء لَهُ وَلَا رَاحَة لمن لَا تَعب لَهُ بل إِذا تَعب العَبْد قَلِيلا استراح طَوِيلا وَإِذا تحمل مشقة الصَّبْر سَاعَة قَادَهُ لحياة الْأَبَد وكل مَا فِيهِ أهل النَّعيم الْمُقِيم فَهُوَ صَبر سَاعَة وَالله الْمُسْتَعَان وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه...

- **<u>في أذنكَ يا ولدي ....(٢)</u>**

خلقَ الله لك يا بنيَ أذنين اثنين لتستمع اكثر مما تتكلم ،فما استمع طالبُ علمٍ لشيخه ولمعلمه بكل جوارحه إلا أنجح وأفلح، على هذا الواجوه يا ولدي أقوامٌ امتلكوا ناصية العلم فخذ بحظكَ منه عبر السؤال بأدب وتُؤدة ،وإياكَ والأسئلة التي لا تهمك في دينك ودنياك، وإياك وكثرة الأغلوطات ،وكن على التقليل من الطعام يحيا الجسد والروح بسلام وقالوا قديمًا:

وبالفتى تُخْمَةُ من أكله ... وعندهُ تُؤدة من عقله

لا تنتقل يا بني من علمٍ حتى تحكمَه كما تحكم اسمك ، ثم انتقل لأخيه يشكلان لك جناحين تطير بهما ،والزم أخًا لك يعينك على العلم ،ذكرك إذا نسيتَ ،وذاكرك العلم ليثبت في فؤادك ،أعارك كتابه إن احتجته ،لن يملك ولن تمله ،وكما قال الاول:

أخاك أخاك، إنَّ من لا أخاً له ... كساع إلى الهيجاء بغير سلاح

وأم أبن عم المرء فاعلم جناحه ... وهل ينهض البازي بغير جناح..

يا بني: من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة فاحترق لتشرق...

يا بني: اخدم المحابر والدفاتر تخدمك المنابر ،واجعلها نصب عينيك: من المحبرة إلى المقبرة ..

أخيرًا:

- **<u>في اذنكَ يا ولدي (٣)</u>**

الكبْرُ لا يتلفع برداء العلم..

يابني: لستَ نبيَ الله موسى ولا أُرسلتَ لفراعنة.

يابني تذكر وصية مولانا الحق:(ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

فلكلِ كَلِمةٍ مدلولٌ من الخَيرِ والشر ، فكلمةُ الخيرِ كالفاغيةِ تخرجُ من النبتِ الطيب و كعِذْيٌ أشبعته ماء السماء النقية فنزلَ على مستمعه كالشآبيب تسقي قلوبًا لعَطاشى فتغسلُ ما عَلِقَ فيها من دَرَنٍ يفسدُ نقاءَ دمِ الإخلاص فيعيده صافيًا لا يحملُ إلا حبًا يفيضُ على جوانح العالمين فتراه كالثغامة لا يكدرها سواد..

وهذا القلبُ بطبعه طَفْطَفة مضطربًا فكيفَ والكلمة الكُلومُ تنزلُ على مستمعها كالسهمِ يخترقُ الرميّة فيمزقُ ما صادفها من لحمٍ وعصبٍ ودمٍ، فكيف وصاحبُها تلفه دُجَمُ الأباطيل وهو بعدُ رجل دوي اللسانِ والقلبِ يستخدمُ دوابَره قبل يديه فكأنكَ ترى ثورًا في ثيابِ رجلٍ..

وتراه مفضوحًا من عينيه وإن أضمرَ الهساهسَ ،حسودًا عنودًا تراه يلأف الحسنات عنك كما يلأفُ أحدكم طعامه لأفًا ،يرى طريقك في العلم دُعْبُوبًا وطريقه شاقًا مُلِئ قللاً فسيان ما بينهما...

وكأني به شمَ عوارضه –البخراء– فخمرت رأسه وطاشت جوارحه ،فأصبح لسانه لا يعي ما يقول من العيّ، فصار يرى الشمس حين تسدف كأنها تشرقُ من جديدٍ لتناغيه وكأنها خُلقت لتدفأه وحده وتنير دربه ..

يا بني :اهبط قليلاً فما أنتَ إلا كمن أشعلَ شمعة والشمس في رابعة النهار....

- **<u>في أذنكَ يا بني (٤)</u>**

قال لي أبو محمد القالي وقد رآني أشمخ بأنفي بقليلٍ من العلمِ جعلني أظن نفسي أَفْلَقُ في العلمِ ،وأنني امتلكتُ ناصيةَ العلم ،ومهرتُ في الفهمِ ..

فقلتُ له: يا عميَ القالي :امحضني النصيحةَ ولا تزد، فإن أَخْطَأْت فَخَطِّئْني، وإن أَصَبت فَصَوِّبْني، وإن أَسَأت فَسَوِّىء علي...

قال أبو محمد: تذكر يا بني أنكَ فتي السنِ ولستَ كهلًا في العلم

أنكَ لن تفلح أبدًا وأنت على طريقة– منْ رامَ الورمَ شحمًا– فَتسْتصغِرَ عمالقةِ العلمِ ممن درجوا على مفخرته بحسنك الظن بما عندك، وأنتَ أحْمَصُ في العلم عييٌ شويٌ، تلازمك هذه الخَصلةُ كلما رأيتَ أحدًا من إخوتك برَ في العلم أقرانه وخلانه، فالقوم أخذوا العلم بخطامه فانقاد معهم كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، يا بني: لن تلحق بركبهم وانتَ تستكبرُ عليهم وتستكثر بما عندك وتراهم قومًا بورًا..

يا بني لا تعترض لمجرد الاعتراض فهذا من جملة الأمراض ولكن ليكن لك لسانًا يسأل فتمحوا به عيًا يلازمك ،فلا أنتَ وحيد زمانك ولا نسيج دهرك، وليكن لك من الهدي والسمت والدل ما تغطي به جهلك ...نصيحتي بنيَ اسمع أكثر مما تتكلم فأول العلم السماع وآخره السماع....

ولا تجعل شيطانكَ يليط بك ،فاستعذ بالله منه فإنه وسوسَ لأبيكَ من قبلك وأبوكَ مؤيدٌ بعناية الله فهو نبيٌ مُكَلْمٌ، وكن يا ولدي مع استاذك وإخوتك عريضًا أريضًا، ولا تكن للعلم مضيعًا مسيعًا، ولا تكن بعلمك – إن حصّلتَه– من الصامرين فهذا والله هو ضياع العلم ...

قلتُ له: زدني يا عمي القالي :قال :"زَبَدتُك ما هو فيه صلاحٌ لك يا ظاهري فانظر من سبقكَ ممن أنكروا فضل الله عليهم حينما أعطاهم العلم ماذا صنع بهم؟ خسف به وبداره فإياك وجحدُ نِعَمِ الله عليك، وعلمٌ لا يزيدكَ خشيةً فهو عليك نقمة....

- **<u>في أذنك يا ولدي (٥)</u>**

العلمُ صبرُ دهرٍ لا قراءة شهرٍ، فلا تُبسر نفسكَ على غير ما تشتهي فتأتي بالطوام..ولاتكن كإعرابيٍ في الصحراء شده الجوع من شدقيه فتولى الإعجالَ ولم يصفو من كدرٍ فلا هو سدَ جوعًا ولا ترك الضرعَ لغيره يأخذُ منه غبوقًا أو صبوحًا...

يا ولدي: إياك وكرائم مكتبتك ،ولو بعتَ التالدَ والطارف ،فإياك أن تيممَ طرفًا من عقلك نحوها بيعًا مهما بلغت بك النوائب ،فمن باع مكتبته باع جزءًا من قلبه وعقله فاختلط بأخرة ...

يا ولدي: جمال العلم في السماع ،وحلاوته بعد التحصيل الإسماع، وزكاة العلم تبليغه على وجهٍ يرضي عنك من أعطاكه فلا تجلس في القصور وشاهق الدور فيصيبك الغرور ومن مأمنه يُأتى الحذر..

يا ولدي: الإخلاص هو الخلاص ،وفكاك الرقبة لا يكون إلا بعد شعورك بالمسغبة ،فكلما طال تنعمكَ لم تجرِ ينابيعُ الحكمة على لسانك..

يا ولدي: كن كابن آدم الأول –صلى الله عليه وعلى نبينا محمد – لا يحملُ قلبك الحسدَ لمن سبقك بالعلم ،فالحسدُ يسد بابَ الإنصاف ويسد عن جميل الأوصاف، فكن نبيلًا ولاتكن عبوسًا قمطريرًا في وجوه إخوته ،فقد عاتب الله نبيه على عبوسه بوجه من لم يرَ ذاك العبوس ،فكيف بك وقد اشتعلَ وجهك عبوسًا؟............!

أعتذر إليكم ..

يا أبنائي: ربما نحن من جيلين مختلفين و لم نشهد معركتين فاصلتين ٤٨و٦٧ ولكننا شهدنا ما هو أذل من هذا كله ،ان حكم الله ضاع من أرضه ،وسُفكت دماء المصلحين ومُزقت أوطانٌ حتى صرنا نرى المدينة مُدنًا كثيرةً..

يا أبنائي: سيروا فعلماؤنا مشغولون على الشاشات الفضية ،وحكامنا يحاصرونكم من كل بوابة وثنية ،فمالكم إلا الله وحده هو من جعل لكم هذه الابتسامات ..

اعذروني يا بنيَ أحذيتكم أطهر من ذقون حكامنا، وانتم عزُ هذه الامة ،ولن تموت أمةٌ ولاّدة لأمثال هذه الضحكات ..

أسف أسف اعذروني ...

- <u>في أذنك يا ولدي (٦)</u>

لا تستعجل يا ولدي فتتزبب قبل أن تتحصرم ،وتتصدر قبل أن يمتلأ قلبك وعقلك من السطر، فانظر يا ولدي لأقوام تصدروا قبل أوانهم فعوقبوا حتى بدت سوءاتهم ،فطفقوا يخصفون على أنفسهم أسمال الستر..

يا ولدي :روينا في سنن أبي داود٣٣٧١ (أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تباع الثمرة حتى تزهو، وعن العنب حتى يسود، وعن الحب حتى يشتد)

فالثمرة الناضجة طعمها حلو ذلك أنها ارتوت من طعامها وشرابها فأزهرت ،أما تلك الثمرة غير الناضجة فهي كالعصا العجراء عقدها كثيرة ..

يا ولدي: لا تتشبع بما لم تعط ،فتلحقكَ أثواب الزور طوال حياتك ،وليكن وكدك ورُضاب فمك فيما لا تعلمه لا أدري ،فقد سبقكَ أقوامٌ فحولٌ في العلم صلّوا خلف اسطوانات مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أتيتَ تحصي عليهم لا ادري لعددتَ كراريس لهم ،فمن أخطأ لا أدري قتله تسرعه بأدري...

يا ولدي :لا تتعجل رؤية اسمك بين الكبار ،فما كبروا حتى صبروا ،وما صبروا على العلمِ حتى بالوا دمًا ،وماتوا وهم يصححون معالم أخطأ بها طلابهم ،فكان موتهم وحياتهم تسهيلًا لوعورة الطريق وإزاحة القلل منها ،لتصبح معبّدة لأمثالك ...

يا ولدي :لا تستعجل التحقيق فهذا فنٌ أعمى البصر من شدة النظر فيه ،فانظر لقوم استعجلوا التحقيق ولفقوه ،فهاهم عورة في تعداد ستر المحققين ،فانظر لمن سبقك من أبناء بلدك حقق قطعة من شرح النووي على البخاري فحرّف بجهله أحمد بن يزيد الحراني إلى أحمد بن بريد ،فاضرب اكباد خيل البريد هل تجد راويًا في الكتب الستة أو التسعة أسمه أحمد بن بريد!!

يا ولدي: كن كأبي زكريا يحيى بن معين معينًا في علم الرجال ،رفسة استحقها من أبي نُعيم خير له من رحلته لعبد الرزاق ،لأنها علّمته أن أبا نعيم ثقة ثبت ،فخذ رفسات من شيوخك تزدد ألقًا كعود الطيب زاده الحرق طيبًا....

- <u>في أذنك يا ولدي(٧)..</u>

اعلم رعاكَ اللهُ وامدكَ من عطاياه أنك إن حصّلتَ فنًا من العلم فلا تنتقل لآخرَ حتى تتقنه ويأخذ منكَ شغاف قلبك ،وإياكَ أن تستقلَل جهد من سبقك ،واجعل نصب عينيك تواضعًا يحملك على أن تجعل من نفسك لينةً في أصل نخل عظام، فانظر لأقوام سبقوك شمخوا بأنفوهم حينما حصّلوا شبرًا من علم فتلك بقاياهم منبوذين في عين الناس اجمعين

يا ولدي: إياك والاعتراض لمجرد الاعتراض فإن الانتهاض لمجرد الاعتراض من جملة الأمراض، فلا يغزونَ جسدكَ الغضَ هذا الداء العضال فيرديك قتيلًا ،وإياك من شهوة حب المديحة بما لم تفعله فإنها العمى المورث للضلالة، فقد نعى المولى عزوجل على أقوامٍ أحبوا المديحة بلا عمل فقال(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم)

يا ولدي: كن كالشجرة ،يرميها الناس بالحجر فتلقي عليهم بالثمر، فتلك كانت أخلاق الحبيب المصطفى وبعده من الدعاة ،فلا تتنكب طريقه وتسأل الله لأمتك إطباق الأخشبين عليها ...

يا ولدي: إياك أن تظن أن هذه الطريق ممهدة مسلوكة ،و مفروشة بالورود ومعجون ملاطها بالمسك والزعفران فتمشي عليها كما مشت الرميكية يوم الطين ،بل هي طريق الدماء والأشلاء ،وكذا التضحيات بالغالي والنفيس ...

يا ولدي: ابذل من علمك مسرورًا ،كما بذل المزكي من ماله قمحًا وتمورًا ،ابذل من علمك لا تندم ،فزكاة العلم بها تغنم ،فما نقص علم من تبليغ ،ولازاد وهو حبيس الصدور والسطور...

يا ولدي: اخدم المحابر تخدمك المنابر ،واجعل نصب عينيك المحبرة إلى المقبرة ،ولا تقنع بمن قال لك: هذا العلم نضج واحترق ،فأنضجه أنتَ على نارٍ هادئة وبتؤدد فإن المنبت لا ظهرًا أبقى ولا أرضًا قطع..

- <u>**في أذنكَ يا ولدي (٨)**</u>

يا ولدي: إحرص أن يكون لك مع علمك وتحصيلك، الحرص على الوقت ،فإنك في سباق مع الزمن فإنه ينساكَ إن نسيته ،واحرص رضي الله عنك أن تعطيَ العلمَ كُلَكَ وهو يعطيك بعضه ،وهذا البعضُ مفتاح السرور والحبور ،فإنه سيفتح لك باباً من الجنة ويلحقك بركب الصالحين العالمين ...

يا ولدي: كن حنونًا مع كتابك ومكتبتك ،قبّلها ألثم صفحات كتبها بشفتيك ،واحرص على أن تقرأ ما تقتني لا أن يفنى الكتاب في مكتبتك وبعدُ لم تطلع على مقدمته..

يا ولدي: بجانب تحصيلك أحرص على عملٍ دنيويٍ تعيش منه ،وليكن لك منه نصيب المسافر المتظلل تحت شجرة سيرحل ويتركها بعد قليل، فهذا القليل يستر الأجساد العارية والأفواه الجائعة ،ولاتكن كلاً على أسرتك فتضيع دعوتك ولا يُقبل منك أمر بمعروف أو نهي عن منكر، وإذا كنتَ مُعيلاً فلا تحب أن ترى أجساد أطفالك الغضة الطرية عارية وبطونهم خاوية ،فالزمن ليس زمن عُمَرَ العاسس ،ولازمن (لعلك ترزق به) ولكنه زمن قلت فيه المروءة ،وشاعت فيه الأنانية فالكفاف الكفاف ،ففقد روينا في مسلم من حديث أبي هريرة (٩٩٦)(كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته) ...

يا ولدي: تحصيل العلم لايتأتي بقوة العضلات ،ولا بمفتول السبال ،بل بالخضوع لرب السموات ،والدعاء أن يعلمكَ كما علّمَ من سبقك ،ولتمرغ خدك على أعتاب وأبواب الخالق جلّ في علاه ،وكلما بالغتَ في الطرق وتمريغ الخد لابد وان تُفتح لك الأبواب ...

يا ولدي: كن كهدهد سليمان ناشرًا للتوحيد وهو–حق الله على العبيد– وكن كنملة سليمان–حريصًا–على شيوخه وأساتذته فلا يأتيهم منك إلا ما يسرهم وكن لهم عونًا وخادمًا ونصيرًا ...

- **<u>في أذنك يا ولدي (٩)</u>**

كما أن الاسْتِهْلال أوَّلُ صيَاحِ المولودِ إذا وُلِد، فليكن لك اسْتهلالٌ في العلم وهو فن عند البلاغيين يُظهر مقدرة الشاعر والناثر وهو الالماع ،أي يبين المتكلم عن مقصوده من الكلام في بدايته وبعضهم يسمونه :براعة المطلع ،فليكن لك مطلعٌ في العلم تظهر إماراته من بين ثناياك منذ تنطق به شفتاك، وبراعة مطلب تأسر به الألباب..

يا ولدي: براعة العلم في العدول عن اللحن جليه وخفيه ،والتمسك بالفصاحة فإنها والله عطنٌ واسع ،ومبرك مبارك ،وأعجبُ –والله– من نحوي يعرف العربية كيف يلحن ،ومن فقيه كيف لايحسن الاستنباط..

يا ولدي: العلم يهذب الشكس اللكس=سيئ الخلق العسير، ويهدأ الثائر ويجعل له هديًا وسمتًا ودلًا ،وهذا لا يتأتى إلا بالجلوس بين يدي شيخك والنهل من علمه وهدبه ودله وسمته ...

يا ولدي :إياكَ والغلو في مسائل التكفير وإيلاجك هذا الباب يدمر عليك علمك ،ويورث عندك الحدة والجرأة على الله وعباده ، وإياك والتعصب فهو الداء الذي أفرز الغلو، والغلو أفرز التطرف، والتطرف أفرز خطأ التفكير، وخطأ التفكير أفرز خطأ التكفير.

يا ولدي: إن نبينا عليه السلام قال(: «إياكم والغلو في الدين، فإنّما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»)

حتى لا يُهلك طالب العلم نفسه ومجتمعه ،فانظر –رحمك الله–إلى أقوام سبقوك في هذا الغلو قال فيهم الحق مولانا ((يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) فكلُ غلوٍ هو قول على الله بغير حق..

يا ولدي: تذكر أنك ستوقع عن الله ،وسيكون لك الاجتهاد في قادمات الأيام ،ستؤجر عليه في صوابك وخطاك فكن خير آخذ وخير معطٍ ولاتكن جسرًا يعبر عليه الناس للجنة ويلقى بك في النار ،فاستعذ–يا قرة عيني–من الحور بعد الكور ،واسأل الله التثبيت فانظر لمن سبقك ممن صحب أفضل الخلق وشاهد معجزاته ، قد ارتد على أعقابه فهلك في النار وذلك عقابه ...

نصائح ظاهرية

بقلم الشيخ المحدث / أبي عبد الرحمن الظاهري

عماد حسن المصري

اربد – الأردن